

## نداء للتنبيه لبحيرة حوض الزهراني الجوفية حماية مياه الشرب أولى من معالجة المياه المبتذلة

احمد ابو ملحم

لفتني الملف الذي فتحته «السفير» حول المياه واستراتيجية إدارتها في لبنان، ولا سيما المقال المنشور بتاريخ ٢٣/٦/٢٠١٠ بعنوان: «هل يمكن استعمال المياه المبتذلة بعد معالجتها؟» فقلت: رحم الله من قال: درهم وقاية خير من قنطار علاج، ينطبق هذا القول على مشكلة مياه الشرب في لبنان. لطالما يتغنى اللبنانيون بوفرة العيون التي تحيط بها البيوت لتنشئ القرى والمدن. حتى المدن الكبرى لا تزال تحتفظ أحياناً بأسماء دالة على ذلك، وليست «راس النبع» و«عين المريسة» و«الغدير» و«عين السكة»، إلا شواهد على ما نقول. فإذا كان الجامع هو نقطة الارتكاز في المدينة العربية الإسلامية، فإن العين والنبع هما المركز في القرية اللبنانية. استمرت العيون صافية عذبة صالحة للشرب حتى انتقل المجتمع في لبنان من الريفية إلى المدنية، حينها تلوثت جميع العيون ولم تعد صالحة للشرب، هذا ما أظهرته التحاليل للعيون المنتشرة في جبل الريحان كما في باقي عيون لبنان.

لماذا لم تتلوث مياه العيون قبل الحياة المدنية؟

على الرغم من إحاطة البيوت بالعيون منذ القديم، إلا أن العيون بقيت تحافظ على نظافتها، وذلك لسبب بسيط ألا وهو أن البيوت لم تكن مزودة بحمامات ترتبط بجورة صحية، وبالتالي لم تهدد مبتذلات الإنسان المياه الجوفية. الانتقال من الريفية إلى المدنية يجب أن يقترن بمستلزمات ترتبط المدنية بها، وعلى رأسها شبكة صرف صحي تبعد مبادل الإنسان عن العيون والينابيع والمياه الجوفية. إذا كان من الضروري التفكير في معالجة مياه الصرف الصحي لإعادة الانتفاع بها ودرء ضررها على الصحة، فإن حماية مصادر مياه الشرب، سواء كانت عيوناً أو ينابيع أو ياهاً جوفية تغذي الآبار والينابيع أولى وأهم.

لماذا أ طرح هذه المشكلة؟ وبالتحديد مشكلة مياه الشرب في محافظتي الجنوب والنبطية؟

تتفق الدراسة الجيولوجية والمناخية التي أعدها الدكتور اسماعيل السمرا من حوض وادي الزهراني على أن جبلي نيجا والريحان وبما يكتنفهما من وديان ورواب خضراء تكسوها الثلوج معظم أيام الشتاء، وتربة وصخور تساعد على تسرب المياه بسهولة إلى باطن الأرض، لتكون بحيرة جوفية ضخمة في حوض الزهراني تمتد من أقدام جبل نيجا شمالاً إلى نبع الطاسة (الزهراني) جنوباً. هذه البحيرة الجوفية تقع تحت قرى كفرحونة ومليخ وعمرمتى واللوزية وامتداداً إلى جرجوع وعربصاليم.

تؤمن هذه البحيرة الجوفية مياه الشرب:

- 1- لقرى جبل الريحان عبر الآبار التي حفرت بعد أن أصبحت العيون ملوثة لا تصلح للشرب.
- 2- لقرى إقليم التفاح عبر شبكة قديمة تنقل مياه نبع الطاسة إلى هذه القرى.
- 3- لقرى شرق صيدا وأحياء في صيدا.
- 4- لمدينة النبطية والقرى المحيطة بها.
- 5- لمنطقة الزهراني بما فيها المصليح.
- 6- كما تغذي آبار مناطق تبدو بعيدة عنها.

البحيرة الاستراتيجية

إذاً هذه بحيرة جوفية استراتيجية يرتبط بها معظم سكان محافظتي الجنوب والنبطية، فإذا تلوثت هددت حياة مئات الآلاف من الناس.

هل هذه البحيرة الجوفية مهددة بالتلوث؟  
نعم هذه المياه الجوفية الاستراتيجية مهددة بالتلوث للأسباب نفسها التي ساعدت على تكونها .

فالتربة والصخور التي ساعدت على انسياب المياه بسهولة إلى باطن الأرض لتكوين هذه البحيرة العملاقة تهدد البحيرة بالتلوث إذا لم يتدارك المعنيون مشكلة الصرف الصحي في القرى التي تقوم فوق البحيرة، ولتأكيد المؤكد ندعو لمراقبة المياه التي تنساب من العيون الملوثة المهملة في مجرى وادي الزهراني، إنها سرعان ما تختفي في جوف الأرض. أضف إلى مياه هذه العيون المياه المبتذلة في الجور الصحية التي ليست بصحية، فهي أيضاً تنساب إلى باطن الأرض. يروي لنا الكبار في السن ان المياه المنسابة في الوادي كثيراً ما كانت تختفي تماماً لتغور في باطن الأرض. أضف إلى ذلك ان أجهزة وزارة الطاقة كشفت على مجرى النهر وتأكدت بالمعاينة من تسرب شديد إلى باطن الأرض. والذي اكتشف أيضاً أن بعضاً من بيوت كفرحونة وعمرمتي ومليخ يستغلون الشتاء لفتح الجور الصحية في مجرى المياه. وتتفاقم الكارثة بالعودة الكثيفة للناس، لا سيما في الصيف للاستمتاع بهذه المصايف الجميلة .

إني أدق ناقوس الخطر، وأدعو المسؤولين إلى وقاية المياه الجوفية في وادي الزهراني قبل نبع الطاسة، وإلا وقعت كارثة صحية لا تنفع معها قناطر العلاج، وذلك بتنفيذ مشروع الصرف الصحي بأسرع وقت ممكن .

تنبهت بلديات جبل الريحان إلى الخطر المحدق، فتداعت إلى اجتماع طرح فيه رئيس بلدية مليخ الدكتور علي بو ملحم أبعاد الكارثة المحدقة، ووجه المجتمعون كتاباً إلى مجلس الإعمار والإنماء طالبين فيه المساعدة .

اهتم المهندس الدكتور اسماعيل مكة للكتاب في مجلس الإنماء والإعمار، وراجع وزارة الطاقة والمياه، وتبين أن هناك دراسة جاهزة في الوزارة تحتاج إلى تمويل كي يبصر مشروع الصرف الصحي لقرى جبل الريحان النور .

هل هناك أهم من حماية مياه الشرب للجنوبيين كي يتمكنوا من البقاء في أرضهم والدفاع عنها؟ إذا كان مشروع معالجة المياه المبتذلة ضرورة، وإذا كان التنقيب عن النفط والغاز ضرورة استراتيجية، فإن حماية مياه الشرب للجنوبيين أكثر من ضرورة وطنية .  
د. أحمد أبو ملحم